

آفة الأفكار

يختلف الناس في مقدار أخذهم من الأفكار التي يعتنقونها ، بين متطرف ومتزن. يتحكم في هذا المقدار مجموعة من المتغيرات أهمها التكوين النفسي للفرد ومقدار مزاج اللحظة ، أو الحقبة الزمنية التي تكتنفه ، ويلعب المجتمع دورًا كبيرًا في اتزان الفرد أو تطرفه ، وليست بنا حاجة لذكر تأثير الأبعاد الزمكانية على تفكير الإنسان وعواطفه ، إذ هي من الأمور التي أصبحت مسلمات وبديهيات لا تحتاج إلى دليل.

كل فكرة لها طرفان ووسط ، أما الطرفان فطرف يكون صاحبه مُفَرِّطًا ، وهو الآخذ من الفكرة أكثر مما يجب ، وهذا ما نسمع الناس تصفه بأنه ملكي أكثر من الملك. وطرف يكون صاحبه مُفَرِّطًا ، وهو التارك للفكرة المُفَرِّط في القدر المتزن منها. ولذلك فمن العبث نسبة التطرف إلى دين معين أو قومية معينة ، إنما التطرف هو طريقة في التعاطي مع أية فكرة أو دين أو مذهب. ولا يكاد يخلو أصحاب أية فكرة من التطرف.

أما التوسط والوسطية فهما الابتعاد عن الطرفين اللذين هما الإفراط والتفريط ، وهو الذي يمكن أن نسميه الاتزان. والاتزان هو الركن الذي يحافظ على الأفكار من الانجراف نحو الاحتراق بنار التزمت والتطرف من جهة ، ويحافظ عليها من الذوبان في الأفكار القريبة من جهة أخرى.

إن الإسلام يمثل الوسطية بأبهى صورها يدلنا على ذلك ما احتواه منهج القرآن الكريم في قوله تعالى : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...)) [البقرة : ١٤٣] ونظرة بسيطة لرقم الآية الكريمة تجعلنا ندرك أنها الآية الوسطى في سورة البقرة ، إذ إن سورة البقرة تتكون من ٢٨٦ آية ، ففيها ذكر الأمة الوسط في الآية الوسط إمعانًا في الوسطية والابتعاد عن التطرف.

إن مصيبة المصائب أن بعض الناس يرى أن التطرف في الحق فضيلة ، في حين أن الحق مع الوسطية لا في التطرف. والذي يسعدنا هو أن أكثر الناس ينظر للتطرف على أنه رذيلة يجب أن لا يتصف الإنسان المتزن بها ، ويبرئ ساحتها منها ، وهذا بحد ذاته فضيلة ، ولكن الفضيلة الأكبر أن ينظر لنفسه نظرة صادقة ، ويجلس معها جلسة مصارحة ويسألها : كيف أقيس نفسي بمقياس التطرف ، وبعبارة أخرى : هل أنا متطرف ؟

ولكي نمد لهذا الحائر طوق النجاة نُعرِّفُ له المتطرف والمتزن لكي يعرف أين يضع نفسه منهما في الفكر فنقول : المتطرف ببساطة هو من يقول : رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ لا يحتمل الصواب. والمتزن هو من يقول : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب.

التطرف كله مذموم في أية فكرة كان ، وأشدّه خطرًا التطرف الديني الذي يتعامل مع المطلق الذي لا يقبل الجدل ، لما يترتب عليه من التكفير والفتاوى بالقتل وأخذ الأموال والأعراض وغيرها مما هو معروف. وعلى التطرف الديني قامت الحروب الصليبية التي حصدت آلاف الضحايا ، ومثلها محاكم التفتيش التي لم تبق أي مسلم في الأندلس.

فما أجمل الاتزان ! وما أقبح التطرف ! فلنبداً من أنفسنا ومن أسرنا لكي نصلح مجتمعنا الذي بدأت تنتشر به الأفكار الوافدة المتطرفة التي تحاول زرع الفرقة بين أبناء الشعب الواحد بل الدين الواحد بل المذهب الواحد. وذلك بإشاعة روح التسامح واحترام الرأي الآخر لا سيما في مجتمعنا المختلف الأفكار والاتجاهات.

الحديث الشريف

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ، فلما أُخبرُوا كأنهم **تقالوها** ، فقالوا : وأين نحن من النبي؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر : أنا أصوم الدهر ، ولا أفطر. وقال آخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ، فقال : أنتم الذين قلتُم : كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني))^(١).

شرح المفردات

الرهط : اسم جمع لا مفرد له ومعناه من ثلاثة إلى عشرة ، في بعض الروايات أنهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون^(٢).

تقالوها : رأوا أنها قليلة^(٣).

رغب عن : ترك وأعرض.

ليس مني : ليس من عملي.

فوائد الحديث

- ١- حرص الصحابة على معرفة عبادات النبي صلى الله عليه وسلم، ويجب أن نقتدي بهم في تتبع آثاره وعباداته لأنه قدوة البشرية.
- ٢- معرفة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأدق تفاصيل عباداته.
- ٣- حب التسابق على فعل الخيرات ، والاتفاق على معالي الأمور.
- ٤- تصحيح النبي لأصحابه وعدم مجاملتهم على الخطأ.
- ٥- التطرف مذموم حتى لو كان في العبادات.
- ٦- التوازن بين الدنيا والآخرة هو منهج الإسلام.
- ٧- التوازن بين حق الجسد وحق العبادة هو مراد الله تعالى.

^١ رواه البخاري : (٣٦٠٥)

^٢ عمدة القاري : ١٧٤ / ٢٩.

^٣ ينظر عمدة القاري : ١٧٤ / ٢٩.

٨- عبادات النبي ﷺ هي العبادات الكاملة ومن أراد الزيادة عليه فإنه سيقصر في حقوق أخرى عليه مراعاتها.

٩- تبرؤ النبي ﷺ من كل من يريد تبديل منهجه.

١٠- لا رهبانية في الإسلام بل فيه الزواج. وليس من التقرب إلى الله ﷻ ترك الزواج كما هي حال المتدينين في الديانات الأخرى. فإن ((النكاح من سنن الإسلام ، وأنه لا رهبانية في شريعتنا ، وأن من ترك النكاح رغبة عن سنة محمد ﷺ فهو مذموم مبتدع ، ومن تركه من أجل أنه أوفق له وأعون على العبادة فلا ملامة عليه ؛ لأنه لم يرغب عن سنة نبيه وطريقته))^(٤).

١١- الأخذ بالتوسط والقصد في العبادة أولى من الإكثار حتى لا يعجز عن شيء منها عند الضعف أو الكبر بالسنن ، ولا ينقطع دونها ، لقوله ﷺ: {خير العمل ما دام عليه صاحبه وإن قل}((^(٥).

١٢- المغفور له ليس معناه أنه لا يحتاج لأن يعبد الله ﷻ^(٦).

^٤ شرح صحيح البخاري لابن بطال : ١٥٩ / ٧ .

^٥ ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال : ١٥٩ / ٧ .

^٦ ينظر عمدة القاري : ١٧٤ / ٢٩ .